المحاضرة الرابعة: معايير النصية 2

عرضنا في المحاضرة السابقة لبعض معايير النصية (الاتساق، الانسجام، القصدية، المقبولية) ونعمل في هذه المحاضرة على إكمال بقية المعايير

1- الإعلامية (informativity): حدد علماء لسانيات النص ثلاثة مفاهيم لمصطلح الإعلامية، هي:

أ- الإعلامية بالمعنى العام، تدل على أن أي نص يجب أن يقدم خبرا ما، فالنصوص كلها تشترك في هذه الوظيفة.

ب- الإعلامية بمعنى الجدة وعدم التوقع، وتدل على ما يجده المتلقي في النص من جدة وإبداع ومخالفة الوقائع على مستوى صياغة النص أو مضمونه، ويحدث هذا في النصوص الأدبية كثيرا.

ج- الإعلامية بمعنى الدعاية إيجابا أو سلبا لشخص ما أو فكرة ما، أو لمذهب ما.

وقد وصفت الإعلامية بالمفهوم (أ- ج) بأنها إعلامية منخفضة، لأن أثرها في النص يقتصر على الإخبار والدعاية فحسب، أما الإعلامية بالمفهوم (ب) فقد وصفت بأنها إعلامية مرتفعة لأنها تتعامل مع الجانب الإبداعي أو الأدبي في النص.

الإعلامية تعني الجدة في الخبر المطروح، وعدم توقع المتلقي استقبال هذا الخبر بهذا الشكل، أو بتلك النسبة، ومن ثم تتشكل درجة الإعلامية وتختلف باختلاف ثقافة المتلقي ومدى استعداده لتوقع الخبر، كما تعتمد على مستوى الغموض التوقع في تفسير النص.

أنواعها:

مما سبق يتبين أن هناك ثلاثة أنواع على الأقل من الإعلامية، أو قل ثلاث درجات من الكفاءة الإعلامية: إعلامية من الدرجة الأولى، وإعلامية من الدرجة الثانية، وإعلامية من الدرجة الثالثة، والضابط أنه (كلما كان هناك ابتعاد عن التوقع وكثرة المعتاد والمألوف زادت الكفاءة الإعلامية).

النوع الأول يتحقّق في العوالم الواقعيّة حيث توجد بدائل كثيرة، ويحدث ذلك عند اختيار بديل في الدرجة العليا من الاحتمال، ولنا في كل هذه المجالات قدر ضئيل من الاهتمام يتمثل في درجة المشاركة الإدراكية العقلية التي تأتي من عدم الجزم؛ مثال ذلك: نص (تمهل) المكتوب على إشارة المرور، نص قابل للتنبؤ تماما، ويكون واضحا وضوحا تاما في العادة، بل يضاف من أجل توضيح المراد شكل ولون من أجل استثارة درجة التنبؤ القصوى من أجل إبقاء اهتمام السائقين مهيئا لأحوال السير المختلفة.

تتصف الوقائع من الدرجة الأولى بأنها وقائع مبتذلة، أي انها تكون مستوعبة في مقام ما استيعابا كاملا يجعل حظها من الاهتمام ضئيلا. غير أنه بمقدور منتج النص التدخل بإجراء تغيير أو عكس للأدوار الطبيعية لكلمات المحتوى أو للعلاقات فتصير موضع تنبه واهتمام عند المتلقي، كقول المتنبي: أمضى إرادته فسوف له قدٌ .... واستقرب الأقصى فثم له هنا

فصياغة هذه الأدوات (سوف/ قد. ثم / هنا) بهذه الطريقة ووفقا لهذا المقصد جعل لها بؤرة اهتمام عند المتلقي، لأنه لم يكن يتوقع هذه الصياغة بهذا الشكل، لكن لو ذكرت ذكرا عاديا فإنها لا تحتاج إلى أن يحتفى بها ويركز عليها الاهتمام كثيرا عند المتلقي.

أما وقائع الدرجة الثانية فتبقى الاحتمالات التي تقدّمها في دائرة خيارات المتلقّي، وتتسم بقدر متوسط من الفرادة، والجدة، وعدم التوقع.

أما وقائع الدرجة الثالثة فهي التي تبدو انها خارجة عن قائمة الخيارات المحتملة، وهي قليلة الحدوث نسبيا وتتطلب قدرا كبيرا من الاهتمام، وتكون أكثر إمتاعا، وصاحبها يعد متميزا.

ويمكن ان نقرب المسألة بما تحدث عنه علماء النقد العرب، فعندهم الكلام له مستويان: أ- المستوى الأول وهو الذي يتضمن الحد الأدنى من الإعلامية، وهو الذي يحقق الإفهام ونقل الفائدة المتوخاة من الكلام. ب- المستوى الثاني وهو الذي يكون فيه إبداع وحسن بيان وحسن إفهام، وهذا لا يتأتى إلا إذا كانت فيه جدة وخروج عن المألوف ومخالفة للمعتاد من التعابير والصياغات.

2- المقامية/ الموقفية/ مراعاة المقام (situationality): وتتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد، ومراعاة الموقف تشير دائما إلى دور طرفي الاتصال في إنتاج الرسالة وفهمها، ومعلوم أن دراسة النص لن تكون كافية بالوقوف على بنيته النحوية ودلالته الداخلية بل لابد من دراسته على مستوى المقام.

3- التناص (intertextuality): وهو ما يعرف بتداخل النصوص، وهو مشتق عند الغربيين من مصطلح (texte) بكل ما يحمله من معان، ويعني مجموع علاقات النص (خاصة النص الأدبي) مع نص أو نصوص أخرى بقدر مستوى إبداعه. أو هو حضور فعلي لنص داخل نص آخر.

سمّاه ميخائيل باختين الحوارية (dialogisme) أي حوار النصوص وصيغ تعالق بعضها ببعض، وذهبت جوليا كريستيفا أن "النص لا يقوم بذاته وإنما هو مجموعة من تقاطعات لنصوص أخرى يقوم بامتصاصها فتنخرط في بنيته، وبالتالي يكون كل نص كموزابيك من الاستشهادات، وكل نص هو امتصاص وتحويل لنص آخر"، ويقع المبدع في هذا التناص بإرادته أو عفويا.

يقسم البحثون مصادر التناص إلى ثلاثة جوانب:

1. مصادر ضرورية: هي المصادر التي يأخذ منها تلقائيا لأنها تشكل ومخزونه الثقافي والعلمي.
2. مصادر لازمة: هي مصادر سابقة من إنتاجه، فهو يتناص معها، سماها البعض بالتناص الداخلي.
3. مصادر اختيارية أو طوعية وهي مجمل المصادر التي كتبها كتاب معاصرون له فهو يأخذ ما يريد ويترك ما يريد.

وإذا كان النص يتقاطع مع نصوص سابقة له، فهذا معناه أن النص:

1. يقدم أرضية لإسماع أصوات خطابات أخرى اجتماعية، تاريخية، دينية ...
2. أنه إعادة توزيع للغة، وإعادة توزيع لنظامها، أو هو هدم وإعادة بناء (هدم لغة التواصل الإخبار لبناء لغة مكثفة).
3. أنه ليس نظاما مغلقا على نفسه كما زعم الشكلانيون الروس.

وإذا كان التناص فكرة غربية فإن مفهومه موجود في التراث النقدي العربي، فنجد مفهومه حاضرا تحت مصطلح توارد الخواطر، وتحت مصطلح التضمين والاقتباس، والسرقات.

وللتناص آليات عديدة يوظفها كاتب النص منها:

1- التمطيط: لهذه الآلية صور متعددة، منها: - الشرح: فقد يجعل فكرة أساس كلامه ويقوم بشرحها . الاستعارة: فصياغة العبارة بصورة استعارية يتطلب تمطيطها.

2- الإيجاز: قد كون التناص عن طريق الإيجاز، فيجعلها بمثابة اللمحة الدالة.